الأستاذة قمر صابوني

السلوك المعادي للمجتمع

1- الشّخصيّة المعادية للمجتمع: نوع من أنواع الاضطراب العقلي، يصاحبه نمط من التّصرفات والتّفكير والحركات غير الطّبيعية، بصورةٍ متصلّبة، إذ يعاني الشخص المصاب من مشكلاتٍ في فهم المواقف والأشخاص وكيفية التعامل معهم، وهذا يسبّب مشكلاتٍ كبيرةً، وتشكُّل الحدود في العلاقات والأنشطة الاجتماعية والعمل والمدرسة، وقد يصعب على الشّخص المصاب باضطراب الشّخصيّة العدائية إدراك إصابته به؛ لأنّ طريقة تفكيره وتصرفاته تبدو طبيعيةً بالنسبة له، وغالبًا ما تبدأ هذه الاضطرابات خلال سنوات المراهقة، أو خلال مرحلة البلوغ المبكّر، ويوجد الكثير من أنواع اضطراب الشّخصية التي يخفّ بعضها عند منتصف العمر .

وهناك عدة سلوكيات للشخصية المعادية المجتمع ومن أبرزها ما يأتي:

- اضطراب الشّخصيّة : هو نمط يجري فيه تجاهل حقوق الآخرين أو انتهاكها، وقد لا يتوافق الشّخص المصاب بهذا النوع من اضطراب الشّخصيّة مع الأعراف الاجتماعية، فقد يكذب أو يخدع الآخرين بصورة متكرّرة، أو قد تصدر عنه تصرّفات اندفاعيّة.

وغالبا ما يسمى هذا النوع "الاعتلال الاجتماعي"

لا يُظهر فيه الشخص أبدًا أي اعتبار للصواب والخطأ، ويتجاهل حقوق الناس ومشاعرهم. يميل الأشخاص المصابون باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع إلى التلاعب بالآخرين أو معاملتهم بلا مبالاة قاسية. لا يُظهرون أي إحساس بالذنب أو الندم على سلوكهم.

الأفراد المُصابون باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع غالبًا ما ينتهكون القانون، ويصبحون مجرمين. قد يكذبون ويتصرفون بعنف أو رعونة، وتكون لديهم مشكلات مع إدمان المخدرات والكحول. مما يؤدي الى الانعدام لديهم للحس الأخلاقي والضمير ..او تاريخ أعمال اجرامية

..مشاكل قانونية ... بسبب هذا كله، لا يمكن للأشخاص المصابين بهذا الاضطراب عادةً تحمُّل المسؤوليات..

ومن هنا جاء تعريف مصطلح "شخصية معادية للمجتمع (Antisocial personality) "مبني على مجموعة اضطرابات شخصية وسلوكية. وقد سميت هذه الاضطرابات بأسماء عديدة مختلفة، منها: اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، اضطراب الشخصية اللا اجتماعية، الاعتلالُ النفْسيّ (Psychopathy) أو الاعتلال الاجتماعي .(sociopathy) مجموعة الأسماء هذه تعكس مدى التعقيد السريري للاضطراب، إلى جانب حقيقة أن له جوانب اجتماعية هامة.

ومن سمات الشخصية المعادية للمجتمع:

يميل الأشخاص المصابون بهذا الاضطراب، عادة، إلى التصرف بعصبية وعدوانية، وغالبا ما يتورطون في صراعات أو شجارات. وهم يتصرفون بعنف ليس مع الغرباء فقط، بل مع أزواجهم أو أطفالهم أيضا. ذلك إن استخدامهم للقوة لا يكون في إطار الدفاع عن النفس أو الدفاع عن الآخرين.

وثمة ميزة أخرى هي من ميزات تصرفات الأشخاص المصابين بهذا الاضطراب تتمثل في قيادة السيارات بصورة متهورة وغير مسؤولة (السرعة المفرطة، القيادة تحت تأثير الكحول أو المخدرات، التورط المفرط لحوادث السير). كما يميل هؤلاء إلى ممارسة سلوكيات جنسية بلا قيود أو حدود، أو تعاطي المخدرات، بما يترتب عن ذلك من عواقب وخيمة. كما إنهم يهملون أبناءهم ولا يقدرون على رعاية إحتياجاتهم، مما يشكل خطراً حقيقياً عليهم.

يتميز سلوك هؤلاء المرضى بأنه عديمي المسؤولية، قطعياً ودائماً. ففي مجال العمل، مثلاً، يقضون فترات طويلة جداً ومتواصلة بدون عمل، إذ يرفضون العمل حتى لو كان بالإمكان الحصول عليه، أو يتركون عملهم قبل ترتيب وضمان عمل بديل. وغالباً ما يتغيبون عن عملهم، لا بسبب المرض تحديداً. إنهم يتورطون في الديون، ويهملون شؤون أُسَرِهم. وعند وضعهم في مواجهة أفعالهم وعواقبها على الآخرين فإنهم لا يبالون ولا يُبدون أي أسف أو ندم.

بل أكثر من ذلك، يلقون باللوم والمسؤولية على ضحاياهم او على أقربائهم فيتهمونهم بالغباء وقلة الحيلة، كما يقللون من خطورة أفعالهم ولا يُبدون أي استعداد لتعويض الضحايا.

ينتشر اضطراب الشخصية، إجمالاً، لدى أبناء الطبقات الاجتماعية – الاقتصادية الفقيرة، بين الذين يعيشون في المدن الكبيرة، كما إنه أكثر شيوعاً بين الرجال منه بين النساء. وتشير التقديرات إلى ان نحو 3% من الرجال عامة يصابون بهذا الإضطراب، مقابل 1% من النساء. مع التقدم في السن، وخاصة في العقد الرابع من العمر، تخفّ حدة الاضطراب. والمعبّر الأبرز عن ذلك يتمثل، أولا وقبل أي شيء آخر، بالسلوك الجنائي الذي يتراجع كثيراً، بل قد يختفي نهائياً، لكن من الممكن أن يطرأ انخفاض أيضاً في مجالات أخرى من السلوكيات المعادية للمجتمع.

وقد بينت الدراسات الوبائية (Epidemiological studies) أن إحتمال إصابة الأقارب البيولوجيين للمصابين بهذا الاضطراب أكبر من إحتمال الإصابة لدى عامة السكان.

من الواضح مما ذكر أعلاه أن اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع يشكل تحدياً اجتماعياً كبيراً يتمثل في طريقة التعامل مع هذا المرض وفي توفير العلاج المناسب للمصابين به. فإن الطرق العلاجية المعتمدة اليوم لم تثبت حتى الآن فاعليتها ونجاعتها، مما يشيع تشاؤماً كبيراً في نفوس المهنيين العاملين في هذا المجال. وتكمن المشكلة الرئيسية في انعدام الدافع (الحافز) للخضوع إلى علاج معين والمواظبة عليه.

هذه الحقيقة، إلى جانب عدم قدرة المرضى المصابين بهذا المرض، على تحمل الإحباط، ولو بدرجة بسيطة جداً، وعدم قدرتهم على توقع عواقب أفعالهم، تؤدي إلى فشل العلاج بأساليب وطرق العلاج النفسي المتعارف عليها حتى الآن. وعليه، يضطر المجتمع إلى التعامل مع هذا الاضطراب بواسطة أجهزة فرض القوانين وتطبيقها (الشرطة والمحاكم أساسا) في غياب العلاج الفعال، وخاصة من خلال الإدانات الجنائية، الإبعاد أو السجن.

أسباب وعوامل خطر الشخصية المعادية للمجتمع :

تشمل عوامل الخطر التي تنبئ بنشوء هذا الاضطراب: أحد الوالدين ذو ماض جنائيّ، عائلة كبيرة، إنجازات ضئيلة، طموح متدنّ وحاصل ذكاء منخفض، علاقات أسَرِيّة غير مستقرة وصغر سن الأم.

وقد تبين إن أكثر من 60% من الأولاد الذين يتعرضون في طفولتهم لهذه العوامل، يتم تشخيصهم في سن 32 سنة بأنهم مصابون بهذا الاضطراب.

تشير بعض الدراسات بأن البيئة الاجتماعية والمنزلية قد ساهمت في تطور السلوكيات المعادية للمجتمع . ولقد ثبت بأن آباء هؤلاء الأطفال تظهر عليهم السلوكيات المعادية للمجتمع والتي قد تعلموها من أطفالهم.

يبدو أن اضطرابات الشخصية تحدث بسبب مزيج من هذه التأثيرات الوراثية والبيئية. والتأثيرات الوراثية هي المزاج ونوع الشخصية التي ولد بها الفرد، والتأثيرات البيئية هي الطريقة التي نشأ بها الشخص وحصيلة التجارب التي مر بها.

الهرمونات والناقلات العصبية

يمكن أن تؤدي الأحداث المؤلمة إلى إعاقة نمو الجهاز العصبي المركزي بشكل طبيعي، والذي بدوره يمكن أن يتسبب في إفراز الهرمونات التي يمكنها أن تغير الأنماط الطبيعية للنمو .

العدوانية والاندفاعية من بين الأعراض المحتملة لاضطراب الشخصية المعادية للمجتمع.

هرمون التستوستيرون هو الهرمون الذي يلعب دورا هاما في العدوانية في الدماغ. فعلى سبيل المثال، المجرمون الذين ارتكبوا جرائم عنف لديهم مستويات أعلى من هرمون التستوستيرون مقارنة بالشخص الطبيعي..

ويتصدى الكورتيزول لتأثير هرمون التستوستيرون مما يسهل السيطرة المعرفية على الميول الاندفاعية.

أحد الناقلات العصبية التي تمت مناقشتها لدى الأفراد المصابين باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع هو السيروتونين.
ووجد التحليل البعدي لـ 20 دراسة مستويات منخفضة من حمض هيدروكسي إندول أستيك بشكل ملحوظ 5) HIAA–يشير ذلك إلى انخفاض في مستويات السيروتونين)، خصوصا لدى أولئك الذين تكون أعمارهم أقل من 30 عاما..

إصابات الرأس

لقد ربط الباحثون إصابات الرأس بالسلوكيات المعادية للمجتمع.
وربط العلماء منذ الثمانينات إصابات الدماغ الرّضية –بما في ذلك الأضرار التي لحقت بالقشرة الأمامية الجبهية– بعدم القدرة على اتخاذ القرارات المقبولة أخلاقياً واجتماعياً.
وقد لا يتطور لدى الأطفال الذين تعرضوا في وقت سابق لضرر في القشرة الأمامية الجبهية الاستدلال الاجتماعي أو الأخلاقي بشكل كامل ويصبحون "أفراداً معتلين نفسياً... ويتصف هذا الاعتلال بمستويات عالية من السلوكيات العدوانية والمعادية للمجتمع تؤدي من دون الشعور بالذنب أو التعاطف مع ضحاياهم.
وبالإضافة إلى ذلك، فإن الأضرار التي لحقت باللوزة قد تضعف قدرة القشرة الأمامية الجبهية على تفسير ردود التغذية الراجعة من الجهاز الطرفي (الحوفِيّ)، والذي يمكن أن يؤدي إلى إشارات خطيرة غير مكبوتة تظهر في صورة سلوكيات عنيفة وعدوانية

أعراض الإصابة باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع

هناك الكثير من المؤشرات والأعراض التى تظهر على مصابي اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع:

- الميل إلى التلاعب بالأخرين.
- غالبا ما يميلون إلى انتهاك القوانين.
- عدم تحمل المسؤولية العائلية او الدراسية.
- عدم اهتمامهم بالصواب والخطأ.
- عدم احترامهم للآخرين او تقديرهم.
- استخدام الذكاء والخدع لغش الأخرين.
- القسوة والسخرية والتنمر.
- اصرارهم على الكذب لتحقيق المصالح الشخصية.
- عدم القدرة على التخطيط للمستقبل وبناء عليه الفشل فى الحياة.
- العدوانية والعنف تجاه الأخرين.
- عدم الرغبة فى تكوين العلاقات الاجتماعية.
- التكبر والغطرسة والتمسك بالرأي وعدم تقبل آراء الاخرين.

- عدم مراعاة النتائج السلبية لسلوكياتهم الخاطئة.

كيف يجب التعامل مع الشخصية المعادية للمجتمع؟

يجب أن يدرك المحيطون أن العقاب لا يحسّن من سلوك هذه الشخصية، بل يطَور مهاراته في المكر والتلاعب بالآخرين، ولذا يجب تعريفه أن أساليبه في التحايل مكشوفة، كي لا يظن أن في استطاعته التحايل على الآخرين.

ويجب ترك مسافة فاصلة من دون أن يصل الأمر إلى الهجر والقطيعة التامة، وربما يضطر المجتمع إلى التعامل مع هذا الاضطراب بواسطة أجهزة فرض القوانين وتطبيقها (الشرطة والمحاكم) في غياب العلاج الفعال، وخاصة من خلال الإدانات الجنائية، الإبعاد أو السجن.

والأهم من ذلك يمكن التعامل مع صاحب الشخصية المعادية للمجتمع على انه مريض، ومن المهم كذلك أن يستمر دعم الأسرة والمحيطين بهم للاستمرار في العلاج. وقد يعد أفضل دواء للمصابين بهذا الاضطراب هو الحصول على الدعم الدائم والحب المستمر من قبل المحيطين بهم، دون إهمال وضع حدود واضحة في التعامل مع هؤلاء الأشخاص